لطائف في الكون

ألفه وكتبه / عبدالله خضر عبدالله

رغم كل المعارف الإنسانية عن هذا الكون ، فهنالك خفايا أخرى فيه تلمح بشكل ما عن نفسها ، وهذا الكم الكبير المعرفي المتراكم عن المعارف الكونية السمائية والأرضية تجعل من ذوي الفكر الخيالي والمنفتح أن يتصورا ويفترضوا أو يغرقوا في التصور الخيالي الكوني ! .

فللكون جمال خاص في النفوس ، ولأجرامه معنىً خاصاً فكرياً وتخيلياً ، فلونه العام مظلم أسود ، يحوي فيه مهرجاناً من الألوان ، فلون السماء كما نراها من الأرض لازوردياً ، في بداية الشروق الشمسي تكون زرقاء فاتحة ، ثم تزيد درجة وضوحها للعيان مع دوران الأرض البطيء حول نفسها الى وقت الزوال ، ثم تدريجياً تتناقص درجة الوضوح لها حتى يعود لونها في الغروب مثل لونـها في الشروق في إتجاه آخر ! .

وهذه الشمس تتلألأ بشعاعاتها المرئية بألوان بين الأصفر والأحمر لتصبغ السماء الأرضية بصبغتها الشمسية الرائعة ! .

وهذا الليل المظلم ، الذي يشبه لون الكون ، يغطي بستاره الداكن نصف الأرض الكروية بألوان بين النيلي والبنفسجي والأزرق والأسود .

وفي قلب هذا الليل الساتر هذه الكتلة القمرية البيضاء الناصعة ، التي تضيء بخفوت نورها شيئاً من ظلمة الليل ، بتدرّج متقن بين الزيادة والنقصان في سطوع النور القمري .

وهنالك بعيداً هذه النجوم المجرية ، المتناثرة بأشكال شتى ، تومض بشعاعها النجمي البعيد ، كأنها ماسات جميلة رمتها يد خـفية ؛ لتشكّل لوحة كونية ثابتة تغازل الأبصار ! .

وهنالك بعيداً بعيداً مجرات الكون ، بأشكالها البالغة الاتقان والروعة ، ذات الجلال والجمال ، التي تحكي قصة خلقية كونية زمنها بلايين السنين ! .

حتى الانفجارات النجمية الهائلة تكون بشكل معين معدود محدد ، حتى لكأنك ترى السوبر نوفا النجمية لوحة أخرى تشير الى نظام وجمال خفي في كل شيء تصنعه القدرة ! .
وربما حوت هذه المساحة الفراغية الهائلة في الكون أشياء أخرى لامرئية تدل على حكم خفية ربانية لايدركها كل فكر إنسان ! .

ووجود ملائكة إلهية موكلة بالأجرام الكونية أمر يؤمن به كل مؤمن بالله تعالى الذي خلقها ، فما لايراه أو يعلمه البشر كثير وكثير ، وغوامض هذا الكون لاحد لها كما لاحد معلوم له ، ولايعجز القدرة الربانية شيء في مطلق هذا الكون ، ففي أمر منه جل وعلا لأحد ملائكته في هذه الأجرام الكونية يكون الأمر أو لايكون ! .

وماهذه العظمة الكونية اللامحدودة إلاقبس يسير من أنوار العظمة الإلهية التي لايمكن وصفها ولايمكن أن يكون لها حداً ! .

وهذا الكون لايسيّر نفسه ، ولاهو عشوائيّ في حقيقته ، هو شيء هائل دبّرته الحكمة الإلهية السامية ، وسيّره العلم الإلهي اللامحدود في كل كلياته وجزئياته ؛ من أضخم مجرة فيه الى أصغر ذرّة ! .

. . . . إن الكون بامتداده اللامتناهي وتوسعه الكبير يضع فكر المتأمل فيه في شيء يشبه المتاهة ، فلايعلم شخص أين مبدؤه ؛ ولا إلى أين ينتهي ، وهو أكبر فراغ ظاهري عرفه البشر ، فراغ هائل حوى فيه ماحوى من أجرام السماء ! .

وغموض هذا الكون وألغازه تجعل البعض ممن جذبهم الكون بما فيه الى الإفتراض في فضائه الشاسع عن أمور قد لايستسيغها فكر بعض بنى البشر ! ، فهذا يفترض بوجود طرق مختصرة دودية فيه تجعل من السفر الكوني أمراً ممكناً !! ، وهذا يذهب الى أبعد من ذلك ليطلق إفتراضاً بوجود مايسمى (الكون الموازي) !! ، في حين يقول الآخر بوجود عوالم متوازية هي نسخة ما من عوالمنا الكونية القريبة !! ، وغير ذلك من شطحات الخيال الكوني الجميل ! .

والأمر المحير الآخر عن الأمور الغريبة ، والخيالية ، والمفترضة عن الكون هو صعوبة إثباتها ونفيها ! ، وذلك بسبب قصور العلم الكوني عند البشر ، فحتى الآن لم تطأ قدم إنسان أقرب الكواكب اليه فضلاً عن أن يجتاز بتجوله فضاء مجموعته الشمسية ! ، فرغم أننا نرى أن هنالك في الكون ماهو شاذّ عن معرفتنا ووضعنا الأرضي ؛ إلا أننا في حقيقة الأمر من صار حالة غريبة شاذة بالنسبة لما في هذا الكون المترامي !! .

وسعة الكون وتباعد مجراته في أغلبها في كل الإتجاهات تجعل المفكر يفترض شكلاً كروياً أو بيضاوياً للكون ! ، وذلك بالرغم أنه لايوجد دليلاً مادياً ظاهراً يؤكد ذلك ، فمعرفة مساحة الشيء وأبعاده هي التي تحدد شكله ووصفه ، ولكننا لاندري تحديداً أين موقع مجرتنا درب التبانة من هذا الكون ! .

والوضع النسبي الزمكاني للكون يغير أكثر المفاهيم البشرية المعتادة عنه ، فالزمكان في كوكب الأرض يختلف عنه في كوكب يورانوس مثلاً ، والزمكان في مجرتنا فيه إختلاف ما عنه في مجرات أخرى وهكذا ، فبسبب ذلك يرى البعض ممن تعمق في فهم غرائب الكون أن الانسان يحتاج الى معارف كونية خاصة أخرى غير معارفه النمطية عن الفضاء ؛ إن عرف شيئاً فبالتأكيد هنالك مالايعرف ! .

ورغم الانجازات الكبيرة للإنسان في هذا الحقل الكوني إلا أن هذا الكون يجعله يتطلع الى غيرها ، فما زال غامضاً ، وكل شيء فيه مكتشف يثير حيرة وفضول وتساؤل الانسان عنه ، وبالتالي يكون الكون أحد الأشياء والأمور التي تختبر الإنسان وليس هو الذي يختبرها في أكثر الظروف ! .

والتواصل البشري بما حولهم في الكون إلى الآن هو عبر أجهزته وآلاته ومعداته الفضائية ، أي أنه رهين مدى مستوى تكنولوجيا الفضاء الذي وصل اليه البشر ، ولو فاقت أحد أجهزة إستشعار الفضاء مداها ومستواها العادي بمراحل لعرف البشر أموراً أكثر وأكثر عن الكون وما فيه .

ويجب أن يعترف البشر بقصور حواسهم المادية أمام هذا الكون ! ، فليس مستوانا البصري أو السمعي المادي هو المقياس الحقيقي الذي نعّول عليه لمعرفة كل شيء في الكون ، فأجهزتنا الفضائية المتطورة هي دليل على ذلك القصور ، ولم يخترعها الانسان إلا وهو مدرك بقصور حواسه المادية العادية ! .

ألفه وكتبه / عبدالله خضر عبدالله